دلالة الزمن بين المصدر والمشتقّات في آيات القرآن الكريم

Significance of Tense Between 'Infinitive' and 'Derivations' in Verses of the Glorious Qur'an

د. مثنّى علي إسماعيل

Dr. Muthanna Ali Ismail

سوريا / جامعة تشرين / كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة/ قسم اللغة العربيّة.

Syria/Tishreen University/College of Arts and Humanities/ Department of Arabic Language.

esmailmothanna@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

مُلَخَّصُ البحث:

لا تنحصر الدّلالة على الزمن في الفعل والظّرف، بل إنَّ المصدر والمشتقّات تحمل كلّها دلالات زمنيّة تنتج من ذاتها حينًا ومن سياقها اللغويّ النصّيّ حينًا آخر.

ويبحث هذا المقال دلالة المصدر والمشتقّات على الزمن مستشهدًا بآيات الذكر الحكيم، ومعتدًّا بالفصاحة التي يحملها النصّ القرآنيّ المحمّل بالقرائن اللفظيّة والمعنويّة، فالمصدر يحمل الزمن العامّ بصيغته أوّلًا، ويحمل زمنًا خاصًّا بتموضعه في سياق لغويّ مقترن بالقرائن المعنويّة أوّلًا، وبالقرائن اللفظيّة الأخرى ثانيًا.

والأمر ذاته ينطبق على المشتقّات التي تدلّ على حدث الفعل إضافة إلى فاعله أو مفعوله أو موصوفه أو مكانه أو زمانه أو غير ذلك من دلالات المشتقّات، فلا تخلو بذلك من دلالة زمنيّة بنفسها وبتضامّها مع غيرها من القرائن اللفظية، وبتموضعها في سياق يحمل قرينة معنويّة.

الكلمات المفتاحيّة: المصدر، المشتقّ، الزمن، الدلالة، السياق، القرينة.

Abstract :

The significance of time is not limited to verbs and adverbs alone. In fact, even infinitive and derivatives carry time connotations that arise from their own nature at times and from their placement within their linguistic and textual context at other times.

This article explores the temporal significance of the infinitive and derivatives, citing verses from the Glorious Qur'an and relying on the eloquence inherent in the Qur'anic text, laden with both verbal and conceptual indications. The 'infinitive' carries a reference of general tense in its form, and it carries a specific tense through its placement within a linguistic context associated with conceptual indications first and other verbal indications secondly.

The same applies to derivatives that indicate the occurrence of an action, in addition to its doer, recipient, description, place, time, or other indications of derivatives. They are not devoid of their own time implications whether they occurred individually or in conjunction with other verbal indications, or within a context that carries a conceptual indication as well.

Keywords: infinitive, derivative, tense, semantics, context, contextual indication.

الزمن المرتبط بالمصدر:

المصدر: هو اللفظ الدالّ على الحدث المجرّد من الزمان، أو هو لفظ منصوب يذكر بعد فعل من لفظه[١]، وهو أصل الفعل وعنه تصدر المشتقّات[٢]، وتجرّده من الزمان يميّزه عن الفعل الذي يدلّ على الحدث المرتبط بالزمان.

ولمّا كان المصدر موضوعًا للدلالة على وقوع الحدث فقط دون ذكر اسم فاعله، فإنَّه يشارك فعله في حروفه، فالحروف الموجودة في الفعل توجد أيضًا في المصدر دون نقصان[٣]، ويقال له المصدر؛ لأنَّه أصل لكلِّ فعل أو اسم تركَّب من أحرفه ليدلَّ على المعنى أو الحدث نفسه.

ولا يجوز تثنية المصدر ولا جمعه؛ لأنَّه اسم الجنس، ويقع بلفظه على القليل والكثير فجرى لذلك مجرى الماء والزيت والتراب، فإن اختلفت أنواعه جازت تثنيته وجمعه تقول: قمت قيامين، وقعدت قعودين. ويقع المصدر على ثلاثة أحوال:

تأكيد معنى الفعل كقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[٤].

بيان عدده: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾[٥].

بيان نوع عامله، وهنا قد يكون مضافًا ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾[٦].

أو قد يكون موصوفًا ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[٧].

أو أن يكون مقرونًا بـ (ألـ) العهدية: (اجتهدت الاجتهاد).

اختلف علماء اللغة في أصل المشتقّات، فذهب البصريّون إلى أنَّ المصدر أصل المشتقّات وذهب الكوفيّون إلى أنَّ الفعل أصل المشتقّات والمصدر صادر عنه، وذهب قوم إلى أنَّ المصدر أصل والفعل مشتقّ منه والوصف مشتقّ من الفعل، وذهب (ابن طلحة) إلى أنَّ كلًّا من المصدر والفعل مشتقّ من الآخر، والفعل أصل برأسه وليس أحدهما مشتقًّا من الآخر.

إنَّ المفعول المطلق هو المصدر كما قال سيبويه، وقد سُمِّيَ بذلك لأنَّ الفعل يصدر عنه.

وعرَّفه ابن مالك بقوله: «المصدر اسم دالٌّ بالأصالة على معنى قائم بفاعل أو صادر عنه حقيقة أو مجازًا أو واقع على مفعول، وقد يسمّى فعلًا وحدثًا وحدثانًا وهو أصل الفعل لا فرعه خلافا للكوفيّين». (٨)

وأمّا الباحثون المعاصرون فذهبوا إلى أنَّ أصل المشتقّات جميعًا شيء آخر لا هو المصدر ولا هو الفعل، وأنَّ الفعل مقدَّم على المصدر وعلى الجميع في النشأة، وأنَّ هذه المشتقّات جميعها ومعها المصدر مشتقّة من الفعل بعد اشتقاق الفعل من أصل المشتقّات. وهي أسماء المعاني من غير المصادر، وأسماء الأعيان والأصوات أي إنَّ الأسماء جامدة وأسماء الأصوات هي أصل الفعل، والفعل بدوره أصل المشتقّات.

ولهذه النظريَّة ما يسوغها إذ كثيرًا ما اشتقّ العرب من الأسماء الجامدة فقالوا (دمغته) إذا ضربت دماغه، كما اشتقّوا من أسماء الأصوات فقالوا: هاهيت: لزجر الإبل، عاعيت: لزجر الغنم، حأحأت: لزجر الكبش، شأشأت: لزجر الحمار. (٩)

دلالة المصدر على الزمان:

إنَّ المصدر ليس صيغة مجرّدة من الزمن بل هو دالّ بصيغته على الحدث، وعلى زمن مطلق، وإذا كان في السياق اللغويّ فإنَّه قد يدلّ في كثير من الأحيان على زمن معيّن مثل الفعل المشترك معه في الحروف الأصليّة، وقد تعينه للزمن المطلوب قرينة لفظيّة أو معنويّة؛ وذلك لأنَّه ينوب عن الفعل في السياق اللغويّ ويجري مجراه في عمله ودلالته الزمنيّة. قال (ابن جنّيّ) «اعلم أنَّ المصدر كلّ اسم دلَّ على حدث وزمان مجهول» [١٠]، وقال ابن يعيش: « إنَّ المصدر قد يدلُّ على زمن، إذ الحدث لا يكون إلّا في زمان» [١١].

ولمّا كان الزمن من مقومات الأفعال، والفعل « أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع»[١٢] كذلك كانت المصادر؛ لأنَّها هي الدالّة على الأحداث، نحو: الضرب والحمد والقتل. كان الزمن من مقوّمات المصادر مثل سائر المشتقّات الأخرى المعروفة في اللغة العربية؛ فالمصدر مثله مثل اسم الفاعل في الدلالة على الزمن فإذا قلت: (عجبت من ضربٍ زيدًا بكرٌ، ومن ضربٍ زيدٌ عمرًا) إذا كان هو الفاعل كأنَّك قلت: (عجبت من أنَّه يضرب زيدًا بكرٌ، ويضرب زيدٌ عمرًا) وإنَّما خالف هذا الاسم الذي جرى مجرى الفعل المضارع في أنَّ فيه فاعلًا ومفعولًا؛ لأنَّك إذا قلت: (هذا ضارب) فقد جئت بالفاعل وذكرته، وإذا قلت (عجبت من ضرب) فإنَّك لم تذكر الفاعل، فالمصدر ليس بالفاعل، وإن كان فيه دليل على الفاعل؛ فلذلك احتجت فيه إلى فاعل

ومفعول ولم تحتج حين قلت: (هذا ضارب زيدًا) إلى فاعل ظاهر لأنَّه المضمر في ضارب هو الفاعل[١٣] فالمصدر بصيغته الإفرادية أو في السياق يدلُّ على الزمن، إلّا أنَّه « حين يدخل في علاقات سياقيّة كالإسناد، والتعدية، فيفيد معنى الزمن بحسب القرينة»[١٤].

دلالة المصدر على الزمن الماضي: (عجبت من ضرْبك زيدًا أمس) أي (عجبت من أن ضربت زيدًا أمس) وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[١٥] أي استغفر.

هنا المصدر (استغفار) دلَّ على الزمن الماضي بسبب وروده في سياق (كان) الماضي.

دلالة المصدر على زمن الحال: (عجبت من ضرْبك اللصَّ الآن) أي (من أن تضرب اللّصّ الآن) [١٦]وقال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾[١٧] هنا المصدر (تقلّب) يدلّ على زمن الحال، بسبب وروده في سياق الفعل المضارع (نرى).

دلالة المصدر على الاستقبال: نحو: (عجبت من ضربك زيدًا غدًا) أي من (أن تضرب زيدًا غدًا) وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[١٨] والتحويل غير موجود مستقبلًا.

فالمصدر (تحويلًا) يدلّ على معنى الاستقبال بسبب وروده في سياق الفعل تجد مع (لن).

دلالة المصدر على الاستمرار: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (١٩) والهدى مستمر.

فالمصدر (هدى) يدلّ على معنى الدوام والاستمرار دون انقطاع.

المصدر بين الثبوت والتجدّد:

ينوب المصدر أحيانًا عن الفعل المتروك إظهاره نحو: (شكرًا، صبرًا، بعدًا)

ويرى النحويّون أنَّ فعل المصدر يحذف وجوبًا إذا وقع المصدر بدلًا من فعله وهو مقيس في الأمر والنهي والدعاء مثل (قيامًا لا قعودًا، وإقدامًا، وصبرًا، وسقيًا لك) بمعنى (قم لا تقعد وأقدم واصبر وسقاك الله) (٢٠)

ويعود السبب في حذف الفعل إلى اختلاف المعنى بين الفعل والمصدر عندما يذكران معًا. فإذا قلنا (صبرًا جميلًا) كان معنى المصدر فيه (اصبر) لكنَّنا إذا قلنا (اصبر صبرًا جميلًا) كان المصدر مبيّنًا للنوع وليس نائبًا عن فعل الأمر ولا يؤدِّي معناه. وكذلك الأمر في الدعاء، تقول: (سقيًا لك ورعيًا لك) وتقول: (سقاك الله سقيًا، ورعاك الله رعيًا) فالمصدر في التعبيرين الأخيرين لا يراد به الدعاء وإنَّما هو مؤكِّد للفعل فإذا أردت أن يكون المصدر نفسه للدعاء جئت به بلا فعل. وهناك فرق هو أن (صبرًا) مصدر فعل الأمر (اصبر) والمصدر أقوى وأثبت من الفعل. وذكر الرضيّ أنَّه حذف إبانة لقصد الدوام واللزوم بحذف ما هو موضوع للحدث

والتجدّد، أي الفعل، في نحو: (حمدًا لك) و (شكرًا لك) و (عجبًا منك) و(معاذ الله) و(سبحان الله). (٢١)

وقال السيوطيّ: « إنَّ الحدث على ثلاثة أضرب:

ضرب يحتاج إلى الإخبار عن فاعله، وإلى اختلاف أحوال الحدث فيشتقّ من الفعل دلالة على كون الفاعل مخبرًا عنه.

ضرب يحتاج إلى الإخبار عن فاعله على الإطلاق من غير تقييد بوقت ولا حال، فيشتقّ منه الفعل ولا تختلف أبنيته.

ضرب لا يحتاج إلى الإخبار عن فاعله، لكن يحتاج إلى ذكره خاصّة على الإطلاق مضافًا إلى ما بعده، نحو (سبحان الله) فإنَّه ينبئ عن العظمة والتنزيه فوقع القصد إلى ذكره مجرّدًا من التقييدات بالزمن أو بالأحوال ولذلك وجب نصبه كما يجب كلّ مقصود إليه بالذكر نحو (إيَّاك وَوَيله وَوَيحه) وهي مصادر لم يُشتَقَّ منها فعل، حيث لم يحتج إلى الإخبار عن فاعلها ولا تخصيصها بزمن، ونصبها كنصبه، لأنَّه مقصود إليه. (٢٢)

وقد يعدل عن النصب إلى الرفع فيقال (صبرٌ جميلٌ) بدل (صبرًا جميلًا) و (سمعٌ وطاعةٌ) بدل (سمعًا وطاعةً). وهذا العدول للدلالة على الثبوت والاستقرار.

قال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ﴾. (٢٣)

أي: فلأصبر صبرًا جميلًا، وقالها بالرفع، ولم يقل: (صبرًا جميلًا) بالنصب؛ لأنَّه أراد الدلالة على الثبات والدوام. قال أبو البقاء: « والرفع في باب المصادر أصلها

النيابة عن أفعالها يدلّ على الثبوت والاستمرار، بخلاف النصب فلا يدلّ إلّا على التجدّد والحدوث المستفاد من عامله الذي هو الفعل، فإنَّه موضوع للدلالة عليه بخلاف الجملة الإسمية فإنَّها موضوعة للدلالة على مجرّد الثبوت مجرّدًا عن قيد التجدّد والحدوث، فناسب أن يقصد بها بالدوام والثبات بقرينة المقام ومعونته ».[٢٤]

فالمصدر المنصوب يدلّ على التوقيت والمرفوع على العموم والثبات، قال الفرّاء: «وأمّا قوله تعالى: ﴿ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾[٢٥]، فإنَّه رفع وهو بمنزلة الأمر في الظاهر كما تقول: من لقي العدوّ فصبرًا أو احتسابًا فهذا نصبه ورفعه جائز. وإنَّ مكان الرفع وجه الكلام لأنَّه عامّة في مَن فعل ويراد بها من لم يفعل، فكأنَّه قال: فالأمر فيها على هذا، فيرفع وينصب الفعل إذا كان أمرًا عند الشيء الذي يقع وليس بدائم، مثل قولك للرجل: إذا أخذت في عملك فجدًا جدًا وسيرًا سيرًا، نصبت لأنَّك لم تنوِ به العموم، فيصير كالشيء الواجب على من أتاه وفعله. [٢٦]

ويرى النحويون فرقًا آخر بين المرفوع والمنصوب هو أنَّ المرفوع قد يفيد أنَّ الشيء قد حصل وثبت واستقرَّ بخلاف المنصوب نحو: (رحمةٌ له وويلٌ له) بمعنى: حصل له هذا وثبت، أمّا إذا قلت: (رحمةً له) و (ويلًا له) فأنت تدعو له أو عليه ولما يحصل.

يقول سيبويه في (هذا باب من النكرة يجري مجرى ما فيه الألف و اللام من المصادر و الأسماء) : « و ذلك قولك : سلام عليك ، و لبيك ، و خير بين يديك ، و

ويل لك ، و ويح لك ، و ويس لك ، و ويلة لك ، و عولة لك ، و خير لك ، و شر له ، و ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[٢٧] فهذه الحروف كلها مبتدأ مبني عليها ما بعدها ، و المعنى فيهنَّ أنَّك ابتدأت شيئًا قد ثبت عندك و ليس في حال حديثك تعمل في إثباتها و تزجيتها ، و فيها ذلك المعنى كما أنَّ حسبك فيها معنى النهي ، و كما أنَّ (رحمة الله عليه) فيها معنى رحمة . فهذا المعنى فيها ولم تجعل بمنزلة الحروف التي إذا ذكرتها كنت في حال ذكرك إيَّاها تعمل في إثباتها وتزجيتها»[٢٨]، وجاء في المقتضب: « وإنَّما تنظر في هذه المصادر إلى معانيها، فإن كان الموضع بعدها أمرًا أو دعاء لم يكن إلّا نصبًا وإن كان لما قد استقرّ لم يكن إلّا رفعًا، وإن كان يقع لها جميعًا كان النصب والرفع ».[٢٩]

ويذهب ابن يعيش إلى أنّ « الفرق بين النصب والرفع أنَّك إذا رفعتها فكأنَّك ابتدأت شيئًا قد ثبت عندك واستقرّ، وفيها ذلك المعنى أعني الدعاء، كما أنَّ حسبك فيه معنى النهي. وإذا نصبت كنت ترجوه في حال حديثك وتعمل في إثباته».[٣٠]

الزمن المرتبط ببعض المشتقّات:

لقد ربط كثير من النحويين الزمن بالأفعال، غير أنَّ الزمن يُلحظ في غيرها من نحو: اسم الفاعل، اسم المفعول، المصدر، أسماء الأفعال، الصفة المشبّهة في تراكيب بعينها.

يرى ابن يعيش أنّ المصدر وبعض المشتقّات متضمّنة الزمن، والزمن الذي تحدث عنه القدماء بأنَّه زمن غير محدّد في المصادر[٣١]، يمكن تحديده عن طريق السياق أو القرائن الزمانيّة المضافة إليه، وكذلك الحال مع بعض المشتقّات.

دلالة اسم الفاعل:

يعرف اسم الفاعل بأنَّه الوصف (أي الاسم المشتقّ) الدالّ على معنى الفاعل الجاري على حركات المضارع وسكناته، كضارب ومكرم[٣٢]، فهو الذي يجري على فعله ويجوز أن تنعت به اسمًا قبله نكرة كما تنعت بالفعل الذي اشتقّ منه ذلك الاسم.

ويذكّر ويؤنّث ويجمع بالواو والنون كالفعل إذا قلت (يفعلون). [٣٣]

ويشير (عبد القاهر الجرجانيّ) إلى أنَّ اسم الفاعل قد يكون أوضح من الفعل في دلالته على الحدث؛ يقول في قوله تعالى:

﴿ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾[٣٤]، « فإنَّ أحدًا لا يشكُّ في امتناع الفعل هنا، وأن قولنا (كلبهم يبسط ذراعيه) لا يؤدِّي الغرض، وليس ذلك إلّا لأنَّ الفعل يقتضي مزاولة وتجدّد الصفة في الوقت، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من

غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل ومعنى يحدث شيئًا فشيئًا »[٣٥]، ويقول سيبويه في العلاقة بين اسم الفاعل والفعل المضارع، مشيرًا إلى عمل اسم الفاعل عمل فعله: «قولك: هذا ضارب زيدًا غدًا. فمعناه وعمله مثل (هذا يضرب زيدًا غدًا) فإذا حدثت عن فعل في حين وقوعه غير منقطع كان كذلك. وتقول: (هذا ضارب عبد الله الساعة) فمعناه وعمله مثل (هذا يضرب عبد الله الساعة)».[٣٦]

ويدلّ اسم الفاعل بحسب ما تشير إليه القرائن على:

الماضي: كقوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.[٣٧]

أي: فطر وخلق، فاسم الفاعل هنا يدلّ على ثبوت الوصف في الزمن الماضي ودوامه بخلاف الفعل الماضي الذي يدلّ على وقوع الفعل في الزمن الماضي لا على ثبوته ودوامه. والكلام في الآية لا يحتمل الشكّ لظهور الأدلّة وشهادتها عليه.[٣٨]

الحال أو الاستقبال: ويجوز في اسم الفاعل أحدهما إذا كان مضافًا إلى معرفة وكان صفة للنكرة « من ذلك: مررت برجل ضاربك، فهو نعت على أنَّه سيضربه، كأنَّك قلت: مررت برجل ضارب زيدًا، ولكن حذف التنوين استخفافًا. وإن أظهرت الاسم وأردت التخفيف والمعنى معنى التنوين، جرى مجراه حين كان الاسم مضمرًا، وذلك قولك: مررت برجل ضاربه رجل، فإن شئت حملته على أنَّه سيفعل، وإن شئت على أنَّك مررت به وهو في حال عمل»[٣٩].

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾[٤٠].

الحال خالصة: وقرينته هنا أن يكون منصوبًا على الحال كقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾[41]، إنَّ « معرضين نصب على الحال، كقولك: ما لك قائمًا»[42].

الاستقبال خالصًا: وهذا الاستقبال قد يكون قريبًا، وقد يكون بعيدًا. يدلّ عليه سياق الحال، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[43] أي سأجعل.

الدلالة على الاستمرار: وقرينته في ذلك سياق الحال.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[44].

فخلق الحب والنوى مستمر.[45]

النسبة إلى الحدث أو الصفة: يقول سيبويه:

« وأمّا ما يكون ذا شيء وليس بصنعة يعالجها فإنَّه ممّا يكون (فاعلًا) وذلك قولك لذي الدرع: دارع، ولذي النبل: نابل، ولذي النشاب: ناشب، ولذي التمر: تامر، ولذي اللبن: لابن»[46]، ويشمل ذلك ما كان على وزن (فَاعِل) و (مُفْعِل) من الصفات التي تختصّ بالمؤنّث دون أن تلحقها تاء التأنيث.

يقول سيبويه: «وذلك قولك: امرأة حائض، وهذه طامث، كما قالوا: ناقة ضامر، يوصف به المؤنّث وهو مذكّر .... وكذلك قولهم مُرضِع، إذا أراد ذات رضاع، ولم يجرها على أرضعت، ولا ترضع، فإذا أراد ذلك قال: مُرْضِعَة. وتقول:

هي حائضة غدًا لا يكون إلّا ذلك، لأنَّك إنَّما أجريتها على الفعل، على هي تحيض غدًا»[٤٧].

فقد دلَّ إثبات التأنيث في اسم الفاعل على وجود الفعل والحالة التي تصحبه، ودلَّ حذفها على معنى الوصفية والثبوت. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾[٤٨]، فلم يقل (منفطرة) لأنَّ (منفطر) تدلُّ على النسبة إلى الانفطار أي ذات انفطار.[٤٩]

المفعولية: وقد تدلُّ صيغة اسم الفاعل على معنى المفعوليّة[٥٠]، كقوله تعالى: ﴿ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ ﴾[٥١]، أي مدفوق.

المبالغة: وذلك باستعمال صيغ مبالغة اسم الفاعل. إذ إنَّ دلالة الحدث والزمن في صيغ المبالغة أقوى من دلالة اسم الفاعل الأصليّة.

دلالة اسم المفعول:

هو ما دلّ على حدث مقترن بمفعوله، وهو مثل اسم الفاعل مأخوذ من المضارع، ويجري عليه في حركاته وسكناته وعدد حروفه، لكنَّه يختلف عنه في أنَّه يدلُّ على من وقع عليه الفعل، أو على الحدوث والثبوت كما يسمّونه. (٥٢)

ومن دلالاته كما تدلّ عليه القرائن:

القدريّة: إذا كان اسم المفعول دالًّا على ثبوت أو استقرار مقدّرين أو محتومين لا تغيير فيهما، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾(٥٣).

أي: قدر له أجل مسمّى معلوم في رحم أمّه لا تغيير فيه ولا انزياح عنه. (٥٤)

الحال: يؤدِّي هذه الدلالة عندما يعرب حالًا في الغالب (جاء زيد مسرورًا).

الاستقبال: تعرف هذه الدلالة من السياق اللغويّ وعناصر الزمن ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ (٥٥).

أي يجمع في يوم القيامة الناس كلّهم للجزاء والحساب ويشهدونه كلّهم دلالة على حشر الخلق. (٥٦)

الاستمرار: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ (٥٧).

النسبة إلى الحدث أو الصفة: وقد يخلو التركيب من قرينة دالّة على معنى من المعاني السابقة وتكون قرينة السياق دالّة على حدث أو صفة ثابتين.

زيد مقرون الحاجبين، مفتول الساعدين.

دلالة الصفة المشبَّهة باسم الفاعل:

لقد تنبّه ابن يعيش إلى الدلالة الزمنيّة في الصفة المشبّهة، إذ إنَّها تدلُّ على « أمر مستقرّ ثابت متّصل بحال الإخبار، ألا ترى أنَّ الحسن والكرم معنيان ثابتان ومعنى الحال أن يكون موجودًا في زمن الإخبار فلمّا كان في معنى الحال أعمل فيما بعده ولم يخرج بذلك عن منهاج الفاعلين فإن قصد الحدوث في الحال أو في ثاني الحال وجيء باسم الفاعل الجاري على المضارع الدالّ على الحال أو الاستقبال وذلك قولك: هذا حاسن غدًا أي سيحسن وكارم الساعة».(٥٨)

شبّهت الصفة المشبّهة باسم الفاعل لأنَّها تدلُّ دلالته على وصف أو حدث أو على فاعل وتختلف عنه في أنَّ دلالتها على الوصف ثابتة أمّا اسم الفاعل فدلالته طارئة.

ولها أوزان كثيرة تبلغ أربعة عشر وزنًا وقد تلتبس أوزانها بأوزان اسم الفاعل وصيغ مبالغته وهذا ما دفع بعض علماء العربيّة إلى وضع ضوابط لإزالة هذا اللبس عن طريق الدلالة. ويمكن إجمال دلالات الصفة بما يأتي: (٥٩)

العيب، اللون، الحلية: وهي صفات لازمة صاحبها وغالبًا ما تكون في وزن أَفْعَل ومؤنّثه فَعْلَاء: أحمر حمراء، أعور عوراء، أحور حوراء.

الغرائز والسجايا: ملازمة صاحبها وغالبًا ما ترد مع الأوزان: فَعَل، فُعَال، فَعَال: حَسَن، شُجَاع، جَبَان وفي فَعِيل: كريم.

الحدوث أو التجدّد: وفي هذه الحال يعدل عن استعمال صيغ الصفة المشبّهة إلى صيغة اسم الفاعل.

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ (٦٠).

عدل عن ضيق إلى ضائق ليدلّ على أنَّه أضيق في الحال غير ثابت.

دلالة اسم التفضيل:

وهو اسم مشتقّ يكون على وزن أَفْعَل للمذكّر وفُعْلَى للمؤنّث وله ثلاث حالات هي:

التجرّد من (أل) والإضافة، الاقتران بـ (أل)، المجيء مضافًا. ومعناه عند النحويين: صفة دالّة على أنَّ شيئين اشتركا في صفة، فساد أحدهما على الآخر. فالدلالة الأصليّة له هي المشاركة والزيادة. لكنَّها غير ثابتة، فقد تتغير تبعًا لما يصاحبها من قرائن، وذلك كما يأتي:

الانفصال: ويعني انفصال المفضّل عن المفضولين أو دخوله في جملتهم. والقرينة الملازمة هي (مِن) الجارّة، فإذا قلت (زيد أفضل منكم، وزيد أفضلكم، واحد) زيد في الجملة الأولى ليس داخلًا في جملة المفضولين، أمّا إذا أضفته فهو واحد منهم، لكنَّه أفضلهم. (٦١)

الزيادة: قد يدلُّ اسم التفضيل على زيادة في وصف غير مشترك، كقولك: العسل أحلى من الخلّ، فاسم التفضيل (أحلى) ليس وصفًا مشتركًا بين العسل

والخلّ، لكنَّه يدلّ على أنَّ العسل في حلاوته زائد على الخلّ في حموضته، وكأنَّك تريد أن تقول: إذا مزج بينهما طغت حلاوة العسل على حموضة الخلّ.(٦٢)

الثبوت: أي ثبوت الصفة واستمرارها « وهو الذي يبدأ الخلق ثُمَّ يعيده وهو أهون عليه «. ومع اختلاف العلماء في معنى اسم التفضيل (أهون) فإنَّ الراجح أن يكون المعنى (هو هيِّن عليه) وذلك نحو قولك: (الله أكبر) أي كبير، لا يدانيه أحد في كبريائه. (٦٣)

دلالة اسمي الزمان والمكان:

إنَّ اسمي الزمان والمكان مشتقَّان من الفعل للدلالة على زمانه أو مكانه. وإذا كان الزمان يؤتى به للدلالة المطلقة على الوقت قليله وكثيره، فإنَّ اسمي الزمان والمكان مقيّدان بالدلالة على وقت أو مكان محدّدين وقع فيهما الفعل. وهما صنوان متلازمان لا يستعملان إلّا معًا. (٦٤)

ويُسمّي سيبويه اسم الزمان بـ(الحين)، واسم المكان باسم الموضع(٦٥)، ويشتقّان من الفعل الثلاثيّ على وزن (مَفْعَل) أو (مَفْعِل) ومن فوق الثلاثيّ على وزن اسم المفعول ويميّز عندها بينهما من المعنى والسياق، ودلالتهما على الزمان والمكان ليست ثابتة، فقد تختلط هذه الدلالة الأصليّة بدلالات أخرى مستفادة من القرائن المصاحبة للنصّ الذي تردان فيه:

الدلالة على زمن الحدث أو مكانه مقيّدًا بقرينة دالّة على الزمان أو المكان. وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾(٦٦)، فاسم الزمان (موعد) مقيّد ومحدّد بقرينة لفظيّة زمانيّة هي (الصبح).

الاستمرار: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾(٦٧) أي وقت العيش وكسب الرزق تبتغون فيه من فضل ربّكم وهو حالة دائمة مستقرّة.

المستقبل: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾(٦٨).

ومن دلالة اسم المكان على المستقبل ﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾(٦٩).

أي : إنَّ جهنَّم مستقرّ الذين اتّخذوا الشيطان وليًّا من دون الله سبحانه في المستقبل ، في يوم القيامة حين يحاسبهم ربُّهم .

التكثير والمبالغة: وقرينة هذه الدلالة اسم المكان الجامد «وذلك إذا أردت أن تُكَثِّر الشيء بالمكان، وذلك قولك: أرض مَسْبَعَة، ومَأْسَدَة، ومَذْأَبَة »(٧٠)

وهذا الضرب من الأسماء يدلّ على صفة الأرض التي تكثر فيها أشياء ما، فقولك: مَأْسَدَة، دالّ على أرض تكثر فيها الأسود، ومَذْأَبَة، دالّ على أرض تكثر فيها الذئاب.

وقرينة هذا الاسم اشتقاقه من اسم جامد هو المقصود بالتكثير كأسد وذئب وأفعى ..... على وزن اسم المفعول الثلاثي مُلحقًا به التاء، فتقول: مَأْسَدَة مَذْأَبَة، مَفْعَاة.

نتائج البحث:

كشف البحث أنَّ المصادر والمشتقّات حاملات للدلالة الزمنيّة في صيغها المفردة وفي سياقها اللغويّ النصّيّ؛ وهي قرينة لفظيّة ومعنويّة، تعطي بلفظها دلالة زمنيّة، وتعطي بمعناها أيضًا معنى ومدلولاً زمنيّاً يسهم في إيصال الدلالة المطلوب إيصالها.

توصّل البحث إلى أنَّ المصدر أعمُّ من الفعل في دلالته الزمنيّة فهو يشمل الزمن العامّ ويستطيع التفرّد بزمن خاصّ في سياق محدّد، على حين تختصّ المشتقّات بزمن الفعل الذي تؤوّل به.

ولا يمكن الاستغناء عن الدلالة الزمنيّة في فهم المعنى اللغويّ عامّة والنصّ القرآنيّ خاصّة، فالسياق اللغويّ بقرائنه المختلفة يحدّد المقصد الذي يرمي إليه النصّ وما المقصّ الزمنيّ إلّا جزء مهمّ من المقصد العامّ.

المصادر والمشتقات تعطي معنى الفعل الذي تؤوَّل به من ناحية المعنى ومن ناحية الدلالة الزمنيّة، وهي باختلاف صيغها تتفرّد بدلالات جديدة محتفظة بمدلول الفعل وزمنه وفقاً للسياق الذي تأتي فيه.

للسياق دور أساس في تحديد الدلالة الزمنية، فالقرائن اللفظية والمعنويّة تعطي الجملة مدلولها العامّ، وتمنح المقصد موضعه الحقيقي في ذهن المتلقّي.

الهوامش :

١- الوحيد في النحو والإعراب والبلاغة والإملاء وقواعد القراءة، كمال أبو مصلح، ص١٩٨.
٢- اللغة الأكادية، عامر سليمان، ص ٢٤٧.
٣- اللغة العبرية قواعد ونصوص، سيد فرج راشد، ص ١.
٤- سورة النساء، الآية ١٦٤.
٥- سورة النور، الآية ٤.
٦- سورة الواقعة، الآية ٥٥.
٧- سورة الفرقان، الآية ٧٠.
٨- شرح التسهيل، ابن مالك، ج٢، ص ١٧٨.
٩- فقه اللغة العربيّة وخصائصها، إميل يعقوب، ص ١٩٤ ـ ١٩٥.
١٠- اللمع في العربيّة، أبو الفتح عثمان بن جنّيّ، ص ١٣١.
١١- شرح المفصل، ابن يعيش، ج ٧، ص ٦.
١٢- الكتاب، سيبويه، ج ١، ص ١٢.
١٣- الكتاب، سيبويه، ج ١، ص ١٨٩.
١٤- اللغة العربيّة معناها ومبناها، تّمام حسّان، ص ٢٥٤.
١٥- سورة التوبة، الآية ١١٤.
١٦- شرح ابن عقيل، بهاء الدين بن عقيل، تح: محمّد محيي الدين عبد الحميد، ج ٢، ص ٧٦.
١٧- سورة البقرة، الآية ١٤٤.
١٨- سورة فاطر، الآية ٤٣.
١٩- سورة البقرة، الآية ٢.
٢٠- شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك، الأشمونّي، ج ٢، ص ١١٦ ـ ١١٧.
٢١- شرح الرضّي على الكافية، رضي الدين الأستراباذيّ، ج ١، ص ١٢٥.
٢٢- الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطيّ، ج ١، ص ٦٠.
٢٣- سورة يوسف، الآية ١٨.
٢٤- الكلّيّات، أبو البقاء الكفويّ، ص ٢٠١.

٢٥- سورة البقرة، الآية ١٧٨.
٢٦- معاني القرآن، الفرّاء، ج ١، ص ١٠٩.
٢٧- سورة هود، الآية ١٨.
٢٨- الكتاب، سيبويه، ج ١، ص ٣٣٠.
٢٩- المقتضب، المبّرد، ج ٢، ص ٢٢١ - ٢٢٢.
٣٠- شرح المفصل، ابن يعيش، ج ١، ص ١٢٢.
٣١- شرح المفصل، ابن يعيش، ج ٧، ص ٢.
٣٢- شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام، تح: أيمن الشوا، ص ٤٨٧.
٣٣- الأصول في النحو، ابن السّراج، ج ١، ص ١٢٢.
٣٤- سورة الكهف، الآية ١٨.
٣٥- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص ١٣٢.
٣٦- الكتاب، سيبويه، ج ١، ص ١٦٢.
٣٧- سورة إبراهيم، الآية ١٠.
٣٨- الكشاف، الزمخشريّ، ج ٢، ص ٣٦٩.
٣٩- الكتاب، سيبويه، ج ١، ص ٣٢٥.
٤٠- سورة الأحقاف، الآية ٢٤.
٤١- سورة المدّثّر، الآية ٤٩.
٤٢- الكشّاف، الزمخشريّ، ج ٢، ص ١٨٧.
٤٣- سورة البقرة، الآية ٣٠.
٤٤- سورة الأنعام، الآية ٩٥.
٤٥- الكشاف، الزمخشري، ص ٣٨.
٤٦- الكتاب، سيبويه، ج ٣، ص ٣٨١.
٤٧- الكتاب، سيبويه، ج ٣، ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣.
٤٨- سورة المزمل، الآية ١٨.
٤٩- الكشّاف، ج ٢، ص ١٧٨.

٥٠- شرح الكافية، الأستراباذيّ، ج ٢، ص ١٩٩.
٥١- سورة الطارق، الآية ٦.
٥٢- شرح الكافية، الأستراباذيّ، ج ٢، ص ٢٠٣.
٥٣- سورة الحجّ، الآية ٥.
٥٤- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسّي، ج ٧، تح: السيد هاشم الرسولّي المحلّاتّي، ص ٩٧.
٥٥- سورة هود، الآية ١٠٣.
٥٦- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسّي، ج ٥، ص ٢٢٦.
٥٧- سورة الواقعة، الآية ٢٧، ٢٨.
٥٨- شرح المفصل، ابن يعيش، ج ٦، ص ٨٣.
٥٩- الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، صفية مطّهريّ.
٦٠- سورة هود، الآية ١٢.
٦١- شرح المفصل، ابن يعيش، ج ٦، ص ٩٦.
٦٢- الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، صفية مطهري، ص ١٩٣.
٦٣- مجمع البيان، الطبرسّي، ج ٣، ص ٣٩٠.
٦٤- الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، صفية مطهري، ص ١٩٥ ـ ١٩٧.
٦٥- الكتاب، سيبويه، ج ٢، ص ٨٧ ـ ٨٨.
٦٦- سورة هود، الآية ٨١.
٦٧- سورة النبأ، الآية ١١.
٦٨- سورة طه، الآية ٥٩.
٦٩- سورة النساء، الآية ١٢١.
٧٠- الكتاب، سيبويه، ج ٢، ص ٩٢.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. السيوطيّ، ج ١، الأشباه والنظائر، دار الكتب، ط ١، بيروت، ١٩٨٣.

٣. ابن السرّاج، الأصول، تح: عبد الحسين الفتليّ، الشركة المتّحدة للنشر، د ت.

٤. عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، شرح: محمّد التنجيّ، دار الكتاب العربيّ، ط ١، بيروت، ٢٠٠٥.

٥. الدلالة الإيحائيّة في الصيغة الإفراديّة، صفية مطّهري، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣.

٦. شرح الألفيّة، الأشمونيّ، ج ١، دار الكتب، ط١، بيروت، ١٩٩٨.

٧. شرح الألفيّة، رضيّ الدين الأستراباذيّ، ج ٢، دار الكتب العربيّة، بيروت، ١٩٨٥.

٨. شرح التسهيل، ابن مالك، ج ١، تح: محمّد عبد القادر وطارق فتحي، دار الكتب العلميّة، ط ١، بيروت، ٢٠٠١.

٩. شرح ابن عقيل، بهاء الدين بن عقيل، تح: محمّد محيي الدين عبد الحميد، ج ٢، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦١.

١٠. شرح المفصّل، ابن يعيش، ج٧، المطبعة المنيريّة، مصر.

١١. شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام، تح: أيمن الشوا، دار الهوى والرشاد، ط ١، دمشق، ٢٠٠٧.

١٢. فقه اللغة العربية وخصائصها، إميل يعقوب، جامعة الموصل، ط ٢، ١٩٩٩.

١٣. الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ج ١، تح: عبد السلام هارون، دار الكتب العلميّة، ط ١، بيروت، ١٩٩٩.
١٤. الكشّاف، الزمخشريّ، ج ١، دار المعارف، بيروت.
١٥. الكلّيّات، أبو البقاء الكفويّ، مؤسّسة الرسالة، ط ٢، بيروت، ١٩٩٨.
١٦. اللغة الأكاديّة، عامر سليمان، دار الكتب، الموصل، ١٩٩١.
١٧. اللغة العبريّة قواعد ونصوص، سيِّد فرج راشد، الرياض، ١٩٩٣.
١٨. اللغة العربيّة معناها ومبناها، تمّام حسّان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٩٤.
١٩. اللمع في علم العربيّة، ابن جنّيّ، تح: سميح أبو مغلي، دار مجدلاويّ، عمان، ١٩٨٨.
٢٠. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ، ج ٧، تح: السيِّد هاشم الرسوليّ المحلّلاتيّ، دار إحياء التراث العربي ومؤسّسة التاريخ العربيّ، ط ١، بيروت، ١٩٩٢.
٢١. معاني القرآن، الفرّاء، ج ٢، تح: أحمد نجاتي ومحمّد النجديّ، عالم الكتب، ط٣، بيروت، ١٩٨٣.
٢٢. المقتضب، المبرّد، تح: محمّد عبد الخالق عضيمة، ج ٣، القاهرة، ١٩٨٦.
٢٣. الوحيد في النحو والإعراب والبلاغة والإملاء وقواعد القراءة، كمال أبو مصلح، بغداد، ١٩٨٩.